العلاقات المغربية – الألمانية (1912 – 1956)

د. سراب جبار خورشيد*

المخلص

تميزت علاقة المغرب مع ألمانيا بكونها علاقات اقتصادية أكثر منها سياسية ، تتحكم فيها الاعتبارات الاقتصادية والتجارية بالدرجة الأولى ، كما ان هذه العلاقات كانت متضاربة ، فكل طرف كان يسعى من وراء هذه العلاقات خدمة مصالحه الخاصة ، لذلك فان ألمانيا كانت تتخذ من المغرب وسيلة لتحقيق التوازن لسياستها ، وتأمين مصالحها الحيوية بالمغرب. وهذا ما يفسر سرعة تخلي ألمانيا عن المغرب ابان توقيع معاهدة الحماية عام 1912 مع فرنسا.

تناول البحث اعطاء نبذة تاريخية عن العلاقات المغربية – الألمانية التي ترجع منذ عام 1784 الى فرض الحماية الفرنسية على المغرب عام 1912 وايضا تسليط الضوء على جميع العلاقات التي جمعت الحكومات الألمانية المتعاقبة مع المغرب على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي ، وذلك في ثلاث محاور تمتد من 1912 – 1956 .

Abstract

Morocco's relationship with Germany was characterized by economic rather than political relations, dominated primarily by economic and trade considerations. These relations were also contradictory. Each side sought to serve its own interests. Germany therefore took Morocco as a means to balance its policy. , And securing its vital interests in Morocco.

This explains the speed of Germany's abandonment of Morocco at the signing of the Treaty of Protection in 1912 with France.

The study dealt with a historical account of the Moroccan–German relations dating from 1784 to the imposition of French protection on Morocco in 1912. It also sheds light on all the relations that the successive German governments have brought together with Morocco at the political, economic and cultural levels in three axes extending from 1912– 1956.

*الجامعة المستنصرية – مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

Sarab_jabar@yahoo.co.uk

www.uomustansiriyah.edu.iq

نبذة تاريخية

انه لمن الصعب الحديث عن العلاقة بين المغرب والمانيا من دون استحضار الاسس والمحددات التاريخية ، التي بنيت عليها هذه العلاقات في التاريخ التي يرجعها المؤرخون الى عام 1784 حين عين الامبراطور فريديريك الاكبر قنصلية في المغرب ، الا ان علاقات المانيا بالمغرب لم ترق رغم ذلك الى المستوى الذي يمكن معه الحديث عن علاقات دبلوماسية ثنائية خلال هذه الفترة الزمنية ، بل ان هذه العلاقات تكاد تكون معدومة خاصة وان المانيا كانت منشغلة آنذاك ببناء امبراطوريتها في اوربا ، كما ان صناعتها لم تكن قد وصلت الى مرحلة متطورة تتطلب البحث عن اسواق خارجية . وابتداءً من عام 1817دعت المانيا الى ضرورة فتح قنوات للتمثيل الدبلوماسي في المغرب ، لكن المغرب كان ينهج آنذاك سياسة الاحتراز من القوى الاوربية ، ولم يستجب لهذه الدعوة مما دفع المانيا الى طرح الفكرة من جديد عام 1852 ، حيث قام القنصل العام الروسي المقيم في اسبانيا والبرتغال بزيارة الى طنجة للوقوف عن كثب على الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية التي اكتسبها المغرب بالنسبة لالمانيا ، وبحث سبل اقامة تمثيل دبلوماسي الماني في طنجة . لكن هذه المبادرة لم تلق اي تمثيل من طرف المخزن المغربي⁽¹⁾.

الامر الذي جعل العلاقات بين البلدين والى عام 1869 تتسم بالغياب التام لاي تمثيل دبلوماسي ، وبالتالي غياب علاقات التبادل الاقتصادي والتجاري ، الا ان التحول في البنيات الانتاجية الذي ستعرفه المانيا فيما بعد وتحولها من دولة زراعية الى دولة صناعية ذات رغبة قوية في الاسواق الخارجية واليد العاملة ، فضلا عن الاهمية الاستراتيجية والسياسية للمغرب المجاور للجزائر ، والذي كان محتل من قبل فرنسا عام 1830 ، كشفت للمستشار الالمانى بسمارك اهمية ربط العلاقات الدبلوماسية مع المغرب ، مما جعله يبادر الى اتخاذ قرار بفتح القنصلية الالمانية بطنجة عام 1872 ، وهو الامر الذي اعلن عنه بصفة رسمية عام 1873 بمهمة تمثيل المانيا لدى البلاط المغربي عهد الى فون كوليتش ، وقد صادف هذا التعيين وفاة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن دفع المانيا الى تأجيل ارسال قنصلها وبقائه في جبل طارق بانتظار تنصيب السلطان الحسن الاول⁽²⁾.

وقد عرض الممثل الالمانى كوليتش على السلطان مساعدة المانيا لتكوين جيش مغربي عصري ، وتزويده بالعتاد الحربي ، والقيام باصلاحات اخرى في مجال سكك الحديد والتلغراف، ان المانيا لم تلبث ان غيرت كوليتش وعوضته بفضله في بيروت (تيودور ويبر) الذي يجيد اللغة العربية ، وذلك في شهر تشرين الاول عام 1873 ، وقد اهتم القنصل الالمانى الجديد بتنظيم القنصلية الالمانية في طنجة وتزويدها بأطر جديدة ومساعدين كان من ابرزهم منصور ملحمة السوري الجنسية الذي عاش في المغرب حوالي ربع قرن ، والحاج علي بو طالب ابن اخت الامير عبد القادر الجزائري ، وقد قدم السفير الجديد

لتقديم السلام للسلطان في مدينة فاس صيف عام 1877 ، وقد حمل معه الهدايا للسلطان " آلة لصنع الثلج " مما مهد كحسب رأي بعض المؤرخين للحديث عن ابرام معاهدات اقتصادية^(٣) .

بصفة عامة بدأت تتزايد المصالح الالمانية في المغرب ، وبدأ المغرب بدوره يحتاج الى بعض المواد المصنعة والمدفعية اللازمة لتسليح وتحديث الجيش ، اذ كلف السلطان الحسن الاول السفير المغربي لدى المانيا السي بن سليمان بالاتصال بمصانع الاسلحة الثقيلة بالمانيا، وفي العام نفسه عهد السلطان الى الحاج العربي بريشة باقتناء كمية من الاسلحة من المانيا حيث زوده الممثل الالمانى بقائمة عناوين المصانع الالمانية خاصة مصانع دار كروب krupp .

وبوفاة الامبراطور كيوم الاول وتسلم الامبراطور كيوم الثاني الحكم ارسل السلطان المولى الحسن الاول في 22 كانون الثاني 1889 بعثة دبلوماسية برئاسة عامل الشاوية عبد السلام بن رشيد الحريزي واربعة ضباط وكاتب ، وقد ساعدت هذه البعثة على مزيد من التقارب الالمانى المغربى ، حيث صدر الامبراطور كيوم الثاني امرا بتعيين وزير مفوض جديد بطنجة في اذار عام 1889 الذي كان له دور بارز في اتباع سياسة جديدة للعلاقات المغربية -الالمانية وهو السفير) تاتينباخ ، حيث وقع بفاس على الاتفاقية التجارية بين البلدين في حزيران 1890 ، واشرف على اقتناء المغرب من المانيا ثلاثة سفن تحمل اسم سيدي التركي والحسني والبشير . وقد كانت التحرشات الفرنسية على الحدود الشرقية سببا في البحث مرة اخرى عن مساعدة المانيا ، اذ تم ارسال بعثة الى الامبراطور الالمانى برئاسة المهدي المنبهي وعدد من المساعدين ، وقد توجت العلاقات المغربية- الالمانية خلال هذه الحقبة بزيارة الامبراطور الالمانى كيوم الثاني لطنجة عام 1905 ابان الجولة التي كان يعتزم القيام بها في البحر الابيض المتوسط ، التي كانت تهدف الى التعبير عن انشغال المانيا بالقضية المغربية ، وتحسيس القوى الاستعمارية بذلك ، خاصة مع تزايد الاطماع الفرنسية والبريطانية حول المغرب^(٤) .

وقد تصاعدت الاحداث في المغرب الى حد المناداة ببيعة المولى عبد الحفيظ^(٥) بدلا من اخيه السلطان المولى عبد العزيز الذي اعلن تنازله عن العرش في اب عام . 1908 وفي تموز عام 1911 تحركت المانيا عسكريا بارسال سفينتها الحربية (بانشر) الى مدينة اغادير للتشويش على فرنسا التي تدخلت بفاس بدعوى اقرار الامن والنظام ، لكن سرعان ما انسحبت المانيا بعد ان حصلت من فرنسا على ما كانت تريده من مطامع بالتخلي عن لعب اي دور في المغرب مقابل تعويض على حساب الكونغو والغلبون محصلة بذلك على منفذ بحري لمستعمراتها في الكامرون. وهكذا تخلت المانيا عن المغرب وتركت فرنسا طليقة تتفرد به وتفرض عليه التوقيع على معاهدة الحماية في 30 اذار عام. 1912 .

من هنا نجد ان العلاقات المغربية - الالمانية قبل عام 1912 تميزت بكونها علاقات اقتصادية اكثر منها سياسية ، وكانت متضاربة الاهداف ، فكل طرف كان يسعى الى خدمة مصالحه الخاصة، لذلك فان المانيا كانت تتخذ المغرب وسيلة لا غاية ، لتحقيق التوازن لسياستها وتأمين مصالحها الحيوية في المغرب . وقد تم التعبير بشكل مباشر عن ذلك من طرف الدبلوماسية الالمانية ومن طرف المسؤولين

السياسيين الالمان ، وهذا ما يفسر سرعة تخلي المانيا عن المغرب قبيل توقيع معاهدة الحماية مع فرنسا ، ومن المؤرخين من يرى ان هذه العلاقات توقفت عند هذه الفترة وهذا ما يجعلنا نطرح تساؤل مشروع وهو :كيف يمكن الحديث عن العلاقات بين البلدين بعد عام 1912 العام الذي فرضت فيه الحماية الفرنسية على المغرب ، اذ تنص مادته السادسة على ان ممثلوا فرنسا الدبلوماسيون والقنصليون يقومون وحدهم بتمثيل المصالح والرعايا المغربية في الخارج ، وان السلطان لا يمكنه ان يعقد اتفاقا ذو طبيعة دولية دون الحصول مقدما على موافقة الحكومة الفرنسية ، فضلا عن ان التمثيل الدبلوماسي والعلاقات الرسمية بين الدول هي مظهر من مظاهر السيادة التي تتمتع بها هذه الدول ، وهذا ما كان يعوز المغرب في تلك الحقبة.

لذلك سنتناول جميع العلاقات التي جمعت الحكومات الالمانية المتعاقبة مع المغرب على المستوى الاقتصادي والثقافي والسياسي.

المحور الاول

العلاقات السياسية المغربية – الالمانية

• المانيا والمغرب في عهد جمهورية فيمار(1919- 1933)

نتيجة لانهزام الامبراطورية الالمانية في الحرب العالمية الاولى سقط النظام الملكي الذي كان قائما في المانيا وانتقلت السلطة الى الحزب الاشتراكي -الديمقراطي المعارض الذي اصدر دستورا جديدا للبلاد في مدينة فيمار في آب عام. 1919 كما اجبرت الحكومة الالمانية في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس على توقيع معاهدة في 28 حزيران عام 1919 ، وهي المعاهدة التي لقيت معارضة قوية من فرساي انتهت محاولة انقلاب فاشلة من طرف المانيا اذار عام 1920 ضد الحكومة التي ابرمتها.وتضمنت المعاهدة شروطا قاسية من بينها على الخصوص تقديم تعويضات للاطراف المتضررة من الحرب ، وقد ادى تاخر المانيا في دفع هذه التعويضات الى احتلال فرنسا وبلجيكا لمنطقة الرور عام 1923 ، وذلك للضغط على المانيا من اجل دفع ما تبقى بذمتها من تعويضات ، مما دفع المانيا الى نهج سياسة الاقتراض حتى بلغت ديونها عام 1921 ما مجموعه 138 مليون مارك ذهبي.ساعدت هذه العوامل كلها في تدهور الاقتصاد الالمني ، فضلا عن الشعور بالاحباط والاهانة ، دفع المانيا الى ان تغير جذريا سياستها الخارجية التي بدأت تركز كل جهدها من اجل اعادة النظر في معاهدة فرساي وشروطها⁽¹⁾ .

وقد اثر هذا العامل فضلا عن المنافسة القوية حول المغرب بين فرنسا ومانيا في شل العلاقات والانشطة الالمانية بالمغرب، فمنذ اندلاع الحرب العالمية الاولى شجعت المانيا عناصر المقاومة المغربية في الشال والجنوب ضد السلطات الفرنسية وامتدتهم بالاسلحة والعتاد، لذلك عملت فرنسا في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس عقب الحرب العالمية الاولى وكذلك عند توقيع معاهدة فرساي على الحد من النفوذ

الالمانى ، الشيء الذي دفع المانيا الى التنازل عن امتيازاتها المكتسبة بموجب معاهدة الخضر عام 1906^(٧) ، وتنفيذا لمقتضيات معاهدة فرساي اصدر السلطان النغرية ظهيرا^(٨) في 11 كانون الثاني عام 1020 يقضي بعدم السماح للالمان بدخول المغرب والاقامة فيه الا بتصريح من السلطان ، ويحدد الحقوق التي يتمتع بها الالمان والشركات الالمانية في المغرب ، واسند اختصاص تنفيذ هذا الظهير للمحاكم الفرنسية.

من هنا نجد ان السياسة الخارجية الالمانية اتجهت خلال هذه الفترة الى استعادة الوضع الدولي لالمانيا داخل اوربا، وكذلك اصلاح الاقتصاد الداخلي ،الشيء الذي يفسر فتور العلاقات المغربية-الالمانية خلال هذه الفترة.

-العلاقات بين البلدين خلال فترة الحكم الالمانى النازي (1933 - 1939)-

تنازعت السياسة الخارجية الالمانية عقب وصول الحزب الوطني الاشتراكي الالمانى الى الحكم في 30 حزيران عام 1933 عدة تيارات منها :تيار الاستعماريين الرجعيين المتأثرين بالفكر القيصريه القديمة ، ويسعى انصاره الى الهيمنة على القارة الاوربية ، واستعادة المستعمرات الالمانية في ما وراء البحار ، والعودة الى حدود عام 1914 وتيار الاشتراكيين الثوريين الذين يمزجون في تصورهم للسياسة الخارجية الفكر القومي بالفكر الاشتراكي ، وقد نادى اتباع هذا التيار بفكرة رابطة الشعوب المضطهدة بزعامة المانيا.وتيار الفلاحين الراديكاليين الذي نادى بسياسة استعمارية مماثلة لسياسة المحافظين ، مع دعوته الى التعاون مع بريطانيا من اجل استعمار مناطق في اوربا الشرقية^(٩) .

لقد تآثر هتلر بهذه التيارات الثلاثة في صياغتها للسياسة الخارجية الالمانية ، فضلا عن تيارات اخرى كمقاومة البلشفية والعداء للسامية والتركيز على فكرة المجال الحيوي والتفوق العرقي، لذلك فقد كان ينظر في كتابه " كفاحي "الى العرب مثل باقي الشعوب الرقية نظرة احتقار ، لكن رغم ذلك نهجت المانيا النازية نفس نهج الدبلوماسية الالمانية التقليدية تجاه العرب ، حيث كانت تحاول الظهور بمظهر الدولة المعادية للاستعمار ، مع انها كانت تنادي بحقها في استعادة مستعمراتها التي فقدتها عقب الحرب العالمية الاولى.

وفي عام 1937 نددت المانيا بالاساليب الفرنسية لقمع الحركة الوطنية المغربية ، كما استطاعت الجمعيات الاسلامية في المانيا ان تجذب الطلبة المغاربة اليها بقصد الدراسة في المانيا ، والتنسيق بين اعضاء الحركة الوطنية المغربية" محمد الوزاني^(١٠) ومكي الناصري^(١١) وغيرهم الذين تعاطفوا مع المانيا اذ اعرب احمد بلافريج^(١٢) مثلا عن ذلك الا ان المانيا مع ذلك كانت تتحفظ في تقديم الدعم المباشر للحركة الوطنية ، لانها كانت ترى ان مستقبل" الرايخ الالمانى "يقع في شرق اوربا وليس جنوبها.

• العلاقات المغربية- الألمانية ما بين 1939 - 1941

كانت هذه العلاقات ضعيفة جدا خلال هذه الفترة في منطقة المغرب العربي عموما وذلك بسبب الاطماع الاستعمارية الألمانية التي كانت تساند ايطاليا الفاشية ، كما ان المانيا لم تقف الى جانب دول هذه المنطقة في مقاومتهم للاستعمار الفرنسي والاسباني والايطالي ، كما فعلت في المشرق العربي . لقد كانت المانيا تخطط لجعل المغرب العربي جسرا بين اوربا والمستعمرات الألمانية في افريقيا الوسطى . وقد ظهرت الاطماع بعد توقيع الهدنة الألمانية-الفرنسية واحتمال قيام تعاون عسكري بين البلدين خلال عام 1940 و 1941، كما ظهرت هذه الاطماع في المطالب الألمانية المقدمة الى فرنسا في 5 تموز 1940 التي تشمل الحصول على مطارات في المغرب ، كما اشترطت اسبانيا على المانيا في مفاوضاتها الاولى لدخول الحرب من بين ما اشترطت توحيد المغرب تحت حمايتها ، وتوسيع المنطقة الصحراوية التابعة لها حتى عرض 20 درجة. كما طالبت المانيا بالمشاركة في استغلال الثروات الاقتصادية في المغربية اثناء المفاوضات التي اسفرت عن توقيع بروتوكول باريس في 28 ايار 1941 ، وطالبت ايضا بالتنازل عن بعض القواعد العسكرية المغربية ، الا ان المانيا عملت على كسب ثقة المغاربة وزعزعة ثقتهم في فرنسا ، وعرقلة تجنيدهم في الجيوش الفرنسية خاصة بعد انهزام هذه الاخيرة عام ١٩٤٠ (١٣).

• العلاقات بين البلدين ما بين 1940 و 1945

ابان الحرب العالمية الثانية وابتداء من عام 1942 اخذت القوات الألمانية في الاندحار خاصة مع بداية انزال الحلفاء لقواتهم في المغرب والجزائر ، مما دفع بالمانيا لاحتلال تونس والنزول بها ، وتركيز عملها السياسي على تحريض الحركات الوطنية بالمغرب والجزائر ضد قوات الحلفاء (١٤) الا ان المانيا لم تتعاون بما فيه الكفاية مع قادة الحركة الوطنية بالمغرب ، حيث ابلغت وزارة الخارجية الألمانية في اب عام 1941 قنصلها العام في تطوان بان السياسة الألمانية نحو المغرب تحكمها الاعتبارات التالية:

- متطلبات سير الحرب.
 - علاقات المانيا مع فرنسا واسبانيا.
 - عدم شمول التصريح الألماني الايطالي الصادر في 23 تشرين الاول 1940 بالمغرب.
- وفي عام 1942 اعرب القنصل الألماني في تطوان بعد ثلاثة ايام من انزال قوات الحلفاء في المغرب عن نوايا المانيا تجاه المغرب ، حيث رفضت الحكومة الألمانية ان تصدر بيانا بشأن استقلال المغرب على غرار البيان الذي صدر عن دولتي المحور بشأن استقلال دول المشرق العربي ، وفي هذه الاثناء ابدى الجلاوي باشا مراكش استعداده للتحالف مع خليفة السلطان في الريف والتعاون مع المانيا ، كما اتصل السلطان المغربي المخلوع المولى عبد العزيز باحد ضباط الاستخبارات الألمانية في طنجة ،

وابلغه ان المانيا اصبحت تتمتع بتعاطف قوي من الشعب المغربي محفزاً اياها للخروج عن تحفظها ، وتصدر تصريحاً تعترف بموجبه باستقلال المغرب ، واكد عبد الخالق الطريس^(١٥) للقنصل الالمانى في تطوان عام 1942 استعداده للتعاون مع المانيا والسفر الى برلين لتأسيس لجنة مغربية تتعاون مع زعماء العرب المقيمين هناك ، ومن جهة اخرى اتصل احد المقربين من البلاط الملكي بالقنصل للتعرف على نوايا المانيا نحو المغرب ، الا ان هذا الاخير رفض تقديم اي تصريح رسمي يتضمن وعداً سياسياً بشأن استقلال المغرب.

ويبدو ان الحكومة الالمانية قد اتخذت موقفاً صريحاً من جميع هذه المحاولات ، حيث كانت ترفض الاستجابة لاي مطلب وطني يتعلق بالاعتراف باستقلال المغرب ، لان ذلك يتعارض مع مصالح فرنسا واسبانيا اللتين كانتا محور اهتمام المانيا ، وذلك بهدف كسبهما في الحرب الى جانبها

• العلاقات المغربية الالمانية خلال الفترة 1945 - 1956

تأثرت العلاقات المغربية الالمانية خلال هذه الفترة باطارها السياسي العام ، حيث قاد انهيار المانيا في الحرب العالمية الثانية الى احتلالها وتقسيمها من قبل الحلفاء ، واقيمت عام 1949 جمهورية المانيا الاتحادية في مقابل جمهورية المانيا الديمقراطية في الجزء الشرقي من المانيا. وهكذا تطورت دبلوماسية المانيا الاتحادية وتعاملت مع الدول العربية ، لكن قيام المانيا الاتحادية بالموافقة على تحمل المسؤوليات القانونية المترتبة على المانيا النازية ، ترك تآثيرات سلبية كبيرة على الجانب العربي ، وللإشارة فان المانيا الاتحادية التي قامت اثر انهيار المانيا النازية عام 1949 ظلت تحت سيطرة القوى الحليفة الغربية المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ، وكانت حرية الحركة السياسية والقانونية للسلطة الالمانية الاتحادية محدودة جداً وخاصة ضمن مجال العمل في الشؤون السياسية الخارجية المرتبط بالقوات الحليفة . وقد حدد (ادناور كونراد) عقب انتخابه مستشاراً اتحادياً في ايلول عام 1949 في البيان الحكومي الاول لجمهورية المانيا الاتحادية هدفين مهمين ستعمل حكومته على تحقيقهما ، وهما : الاندماج بالغرب ، واعادة توحيد المانيا.

كما ان سياسة عدم الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية كانت احدى الاولويات السياسية لالمانيا الاتحادية حتى عام 1956 ، وقد اقرت من اجل ذلك مبداً يعُدُّ اقامة اي علاقة مع جمهورية المانيا الديمقراطية من قبل اي دولة ثالثة ، بانه عمل غير ودي ويعطي لالمانيا الاتحادية الحق في فرض عقوبات تصل الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع تلك الدولة الثالثة^(١٧).

فضلاً عن تركيز السياسة الخارجية الالمانية كل جهودها خلال هذه المرحلة من اجل اعادة تاهيل المانيا المقسمة ، وعدم الاعتراف بالمانيا الديمقراطية ، وهذا ما جعلها تتصرف عن علاقاتها مع الدول العربية عموماً والمغرب على سبيل الخصوص الى الامور السالفة بانشغال اعمق واهتمام اكبر ، كما ان

المغرب في هذه الفترة كان يصارع من اجل تحقيق استقلاله ، الشيء الذي عدّته المانيا يكتسي طابعا ثانويا ضمن الاطار العام للسياسة الخارجية لالمانيا الاتحادية.

المحور الثاني

العلاقات الاقتصادية المغربية - الالمانية

يرجع المؤرخون تاريخ العلاقات الاقتصادية بين المانيا والمغرب الى نهاية القرن السادس عشر ، حيث بدأ التجار الالمان في زيارة المغرب ابتداءً من عام 1605 ، كما ان دور التجارة الالمانية اهتمت بالمغرب وبمؤهلاته الاقتصادية. في عام 1802 ابرمت مدينة هامبورغ عقد لشراء الزعفران ، وفي عام 1890 ابرمت اول اتفاقية تجارية بين الامبراطورية الالمانية والمغرب ، حصلت بموجبها البضائع الالمانية على تخفيض في الرسوم الكمركية مقداره 19% ، وانشأت المانيا خطا بحريا بين الموانئ الالمانية والموانئ المغربية ، وبلغ وزن البضائع الالمانية التي يستقبلها ميناء الدار البيضاء عام 1885 34% من مجموع البضائع التي يستقبلها الميناء . كما بلغ عدد البواخر الالمانية التي تردت على الموانئ المغربية 222 باخرة خلال عام ، كما قدّمت المانيا قرضا للمغرب عام 1905 قدره 10 ملايين مارك ، وحصلت المانيا على امتياز بناء ميناء طنجة وشاركت بقرض للحكومة المغربية مقداره 105 مليون مارك عام 1910 ، وحصلت على 17% من اسهم شركة التبغ المغربية ، كما بدأت الشركات ذات الشهرة العالمية في الاهتمام بالمغرب ، ونشير هنا على الخصوص مساهمة كروب ومانيسمان في ميدان المناجم ، وكذلك في المجال الزراعي^(١٨) .

وعلى صعيد التبادل التجاري واردات المغرب من المانيا من 7,1 مليون فرنك عام 1910 زادت حتى بلغت 18,2 مليون فرنك عام 1913 ، وبعد توقيع معاهدة الحماية بين المغرب وفرنسا في 30 اذار عام 1912 تم اقصاء المانيا من دائرة النفوذ والتنافس حول المغرب ، مما اثر بشكل ملحوظ على المعاملات التجارية والعمليات الاقتصادية بين البلدين في بداية عهد الحماية.

لكن بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى عرفت العلاقات المغربية الالمانية قيام حركة اقتصادية شبه منتظمة تجلت في تبادل السلع بين البلدين على الرغم المشاكل الاقتصادية التي تعرفها المانيا خلال هذه الفترة والتي تجلت اساسا في نقص العملية التي اثرت على قدرة المانيا التصديرية ، بالمقابل اغرقت البضائع المغربية بقوة الاسواق الالمانية ، ومن بين هذه البضائع الحمضيات والسردين . لكن العلاقات المغربية الالمانية خلال هذه الفترة لم تصل بعد الى مستوى التعاون الاقتصادي الحقيقي ، اذ لم تكن هناك استثمارات بين الجانبين ولا تنقل لرؤوس الاموال ولا تبادل للتكنولوجيا والخبرة ، فقد تحددت هذه العلاقات في تبادل بسيط للسلع والبضائع. من جهة اخرى تآثرت العلاقات بين البلدين بظروف الحرب ومتطلباتها ، حيث اعتمدت المانيا على وسطاء تجاريين للتعامل مع المغرب واستغلال خيراته حيث كان

يصدر المغرب ظاهريا بضائعه الى فرنسا ، الا ان وجهته كانت تتحول الى المانيا وحليفها ايطاليا ، وذلك لتجنب الاصطدام مع المغاربة ، وفتح جبهة جديدة مع فرنسا في المغرب (١٩) .

كما ان التحولات التي قامت بها المانيا لصالحها في المغرب لا تتضمنها الاحصائيات الرسمية ، حيث يصعب تحديد الصادرات المباشرة الى المانيا التي كانت تسيطر على السلع اما عن طريق شركات تجارية او بعد وصولها الى الموانئ الفرنسية.

وعند احتلال المانيا لفرنسا الدولة الحامية بالنسبة للمغرب خلال الحرب العالمية الثانية ، تآثر المغرب سلبا بهذا الاحتلال اذ تم حرمان المغاربة من المواد الضرورية ، فالشعير الموجه من المغرب الى المانيا عبر فرنسا المحتلة ارتفع من 58,500 طن عام 1939 الى 139500 طن عام 1941 ، وتراجع فيما بعد في ظرف اشهر الى 75563 طن عام 1942 بفعل الاستغلال المكثف . اما بالنسبة للمواد المعدنية فقد تراجعت من حيث الصادرات ما بين عام 1940 و 1942، فتصدير الفوسفات والرصاص تراجع بنسبة الثلث من معدل تصديرهما قبل الحرب ، كما تسبب هذا الاحتلال في حدوث خسائر مباشرة وغير مباشرة نتيجة للقرارات السياسية والاقتصادية التي فرضتها المانيا على فرنسا ، مما كان له نتائج سلبية على المغرب ، فقد اتخذت تدابير من طرف حكومة فيشي بايحاء من المانيا طبقت في المغرب باعتباره جزءا من المناطق التي تخضع للتشريع الفرنسي الجديد ، وهكذا تم عزل عدد من موظفي الخدمات الاجتماعية والمؤسسات العامة لاسباب سياسية، كما تم ترحيل حوالي 1800 عامل للعمل في المانيا (٢٠)

وفي المجال النقدي نتج من طرف المانيا هروب رؤوس الاموال الى المغرب ، لكنها لم تستثمر بسبب الظروف غير الملائمة ، فسبب ذلك تضخما كبيرا انتقلت معه قيمة التعامل بالاوراق النقدية من مليار فرنك في حزيران عام 1940 الى 3 مليارات في عام 1942 ، كما نتج عن العمليات الحربية في الحرب العالمية الثانية حدوث خسائر في املاك الدولة المغربية قدرت ب 62 مليون فرنك وخسائر ممتلكات الخواص التي قدرت ب 35 مليون فرنك وخسائر اسطول الصيد البحري المغربي ب 4 مليون فرنك ، فضلا عن خسائر اخرى غير مباشرة تجلت في فقدان الاسواق العالمية ، وتوقف نمو الاقتصاد المغربي الذي انطلق بصورة جيدة قبيل اندلاع الحرب (٢١) .

من ذلك نجد ان العلاقات المغربية الالمانية الاقتصادية تأثرت خلال فترة الحرب وبذلك فان هذه الصورة لن تتوضح الا بعد حصول المغرب على استقلاله عام 1956 واعادة المانيا بناء اقتصادها الذي دمرته الحرب ، اذ تم اعادة بناء علاقات اقتصادية وتجارية بالتوقيع على اتفاقية التعاون التجاري في 14 نيسان 1961 التي تتجدد تلقائيا كل عام ، متبوعة باتفاقيات التعاون المالي والتقني والاقتصادي الموقعة في 24 تشرين الثاني عام 1966 القابلة للتجديد كل خمس سنوات.

المحور الثالث

العلاقات الثقافية المغربية - الألمانية

تمتد العلاقات المغربية الألمانية على المستوى الثقافي الى القرن التاسع عشر ، في عام 1852 حل عالم الآثار الألماني جيرهارد بمنطقة الريف والصويرة ومراكش ، وقامت بعد ذلك عدة بعثات استكشافية عام 1869 وقد ساهمت هذه الزيارات بقيادة الدكتور لينز بالتعريف بالمغرب لدى الألمان مما جعل العلاقات بين البلدين تتوطد منذ هذه الحقبة الزمنية.

وبعد الحماية استمرت ألمانيا تتمتع نسبيا بالتعاطف من طرف الكتاب المغاربة على الرغم تخليها عن المغرب على المستوى الرسمي ، وقد تعزز هذا الرصيد من التعاطف ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما كانت ألمانيا تحارب في صف العثمانيين ، فضلا عن مساعدتها المحدودة لحركات المقاومة ضد القوات الفرنسية منها حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، لذلك فقد استغلّت ألمانيا هذا الرصيد التاريخي للعلاقات المغربية الألمانية في دعايتها الموجهة الى المغرب ، وهكذا فقد استطاعت برلين ان تستقطب عددا من الزعماء العرب وضمنهم المغاربة المناهضين للاستعمار الفرنسي والانكليزي ، فتكونت بذلك جالية اسلامية مهمة في برلين كان زعيمها مغربيا اسمه عبد الوهاب ومركزها المسجد الاعظم (٢٢) .

كما تأسست رابطة الثقافة الاسلامية ومكتب المغرب العربي ببرلين ، فبالنسبة للرابطة فقد تأسست عام 1933 ، وكانت منذ بداية نشاطها تضم بعض الشخصيات المغربية مثل عبد السلام بنونة والمكي الناصري ومحمد حسن الوزاني ، كان يتراسها النمساوي عمر رودولف فون اهرنفليس ، ومن جهة اخرى ركزت ألمانيا اهتمامها على الجانب الاعلامي في علاقتها مع المغرب ، وذلك للدعاية لسياستها والتاثير بها على الاوساط المغربية ضد فرنسا ، فابتداءا من عام 1939 شرعت اذاعتي برلين وشتوتكارت في بث برامج باللغة العربية والفرنسية تجاه المغرب العربي بان ألمانيا صديقة للاسلام والمسلمين وحثه على عدم اختيار الجبهة العسكرية المضادة لألمانيا.

وكان العراقي يونس بحري هو رئيس القسم العربي باذاعة برلين ، وهو شخصية معروفة من قبل الاوساط الوطنية المغربية، فقد سافر الى المغرب عام 1930 وزار كلا من فاس والرباط وسلا وتطوان وطنجة ، وعند حلوله بعاصمة المنطق الخليفة كان في ضيافة عبد السلام بنونة ، وقد لعب يونس بحري دورا اساسيا في ربط الصلات بين الوطنيين المغاربة وشكيب ارسلان ، وكان نشاط يونس بحري باذاعة برلين معززا بمجهود شخصيات عربية مختلفة (٢٣) .

كان مفعول هذه الدعاية قويا رغم قلة عدد اجهزة الراديو المتواجدة في المغرب والتي لا تتجاوز 4660 جهازا في عام 1938 الشيء الذي دفع فرنسا الى اتخاذ تدابير صارمة قصد الحد من انتشار اجهزة الراديو في الاوساط المغربية .وقد اتجهت الدعاية الألمانية الى الاشادة بثورة عبد الكريم الخطابي

في الريف والادعاء بان انتصار المانيا في الحرب هو انتصار للعرب والمغاربة، وان المانيا ستنتقم للمغاربة من الفرنسيين وستطردهم من شمال افريقيا.

كما استخدمت اذاعة باريس العالمية بعد استسلام فرنسا وتوقيع الهدنة معها في 20 تموز عام 1940، حيث بدأت برامجها باللهجتين المغربية والبربرية ، كما اسست في باريس مكتبا للدعاية متخصص في الشؤون المغربية في كانون الاول عام 1940 يديره القنصل ويساعده مغربي اسمه بوزين ، وقد استخدمت المانيا ايضا ابان حربها مع فرنسا المنشورات العربية والفرنسية التي كانت تقذف بها الطائرات بكميات كبيرة على جبهات القتال وعلى المدن المغربية، كما استعملت مكبرات الصوت على الجبهات لمخاطبة الجنود المغاربة في الجيش الفرنسي بالعربية ، وذلك لاستمالتهم اليها مبينة لهم انها تريد السلام وتدعوهم الى ترك الخدمة العسكرية.

من جهة اخرى ركزت المانيا على دعم وتشجيع طبع ونشر المنشورات التي تهتم بالمغرب وشمال افريقيا عموما ، ومن ابرزها على سبيل المثال: سينيال وسيكنال ، فالاولى مجلة المانية واسعة الانتشار صدر عددها الاول في 15 نيسان 1040 ، في العام نفسه تلقت وكالة هاشين بالدارالبيضاء 1700 نسخة من تلك المجلة الالمانية فوزعت منها الف نسخة ، وبعد تدخل الاقامة العامة الفرنسية لم تتمكن الشرطة من استرداد الا 37 نسخة من بين الالف الموزعة بالدار البيضاء ، وبعد مرور نصف عام على هذا الحجز اقدمت الاقامة العامة على اصدار امر بمنع هذه المجلة في جميع اطراف المغرب ، لكن تم التراجع عن هذا المنع بتاريخ 17 اب 1942 بطلب من سلطات فيشي ، اما سيكنال فهي الطبعة العربية لمجلة سينيال.

والجهير وهي مجلة شهرية يصدرها القسم العربي باذاعة برلين ، وكانت تسعى الى اقناع قرائها بمعاداة الانكلوساكسونيين والشيوخيين واليهود ، وجلب تعاطفهم نحو المانيا المراد اظهارها كقوة عظمى مناصرة للاسلام والمسلمين ، وقد تم منع هذه المجلة بالمغرب، اما مجلة بريد الشرق فهي نصف شهرية تصدر ببرلين ، كانت تولي اهتماما كبيرا للاخبار المصورة قصد التأثير على القراء.واخيرا مجلة نشرة الاخبار والمغرب العربي وهي من المجلات الالمانية التي تصدر باللغة العربية والالمانية ، هدفها خدمة المصالح الالمانية وتمتين العلاقات الثقافية والسياسية بين المانيا والدول العربية (٢٤).

خلاصة القول ، العلاقات بين البلدين لم تتبلور بشكل واضح خلال فترة الحماية الفرنسية على المغرب ، وبعد حصول المغرب على استقلاله كانت المانيا من الدول السباقة الى ارسال سفيرها الى المغرب ، حيث عينت المانيا في 26 اذار عام 1957 السيد فون ديرش سفيرا لالمانيا بالمغرب ، مما فتح عهدا في تاريخ العلاقات المغربية - الالمانية.

الخاتمة

تميزت العلاقات المغربية - الالمانية بما ياتي:

1- نجد انها كانت قبل عام 1912 علاقات اقتصادية اكثر منها سياسية ، كما انها في الوقت نفسه كانت متضاربة ، فكل طرف كان يسعى لخدمة مصالحه الخاصة . لذلك كانت المانيا تتخذ المغرب وسيلة لا غاية لتحقيق التوازن لسياستها.

2- تأثرت العلاقات من عام 1912 - 1956 بظروف الحرب ومتطلباتها، حيث اعتمدت المانيا على وسطاء تجاريين للتعامل مع المغرب ، واستغلال ثرواته عن طريق عقد اتفاقيات اقتصادية وتجارية بين البلدين.

3- شهدت هذه العلاقات خلال مدة الاستقلال انتعاشا ملموسا ، تجسدت من خلال عودة التمثيل بين البلدين.

4- اما عن العلاقات الثقافية ، فقد بدأت منذ الاستقلال ، حيث عملت المانيا على ربط علاقاتها الدبلوماسية مع المغرب منذ عام 1956 ، وبموازاة مع ذلك شهدت هذه الفترة نشاطا ثقافيا ملحوظا.

الهوامش

- 1-المخزن ويقصد به : الدولة ومحيطها المركزي واجهزتها
- 2-محمد خير فارس ، المسالة المغربية 1900 - 1912 ، دار الشرق، ط2، بيروت ، 1980 ، ص 54- 56
- 3-المصدر نفسه ، ص60 - 63
- 4-حسن الشهابي ، الملابسات الدولية وقضية الوحدة المغربية من خلال التاريخ ، مجلة الوحدة ، العدد الخامس عشر ، وزارة شؤون موريتانيا ، 1968 ، ص 34
- 5-هو الابن الاصغر للسلطان حسن (1873- 1894) وقد كان من القوة والذكاء والشخصية ، الا انه كان ضعيفا سياسيا ولم يجد من يحسن توجيهه وينصحه.
- 6-خيرية عبد الصاحب ، الفكر القومي في المغرب العربي ، دار الرشيد ، بغداد ، 1983 ، ص26
- 7-جمال البنا ، ظهور وسقوط جمهورية فيمار ، مطبعة حسان ، القاهرة ، 1977 ، ص43
- 8-الظهير : يعني مرسوم ملكي
- 9-جمال البنا ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .
- 10-ولد في فاس واكمل دراسته في باريس عام 1930 واشتغل سكرتيرا للامير شكيب ارسلان في جنيف وعاد الى مراكش عام 1933 واشتغل امين عام للحركة القومية ثم لحزب الشورى والاستقلال.
- 11-من مواليد سلا درس في القاهرة واقام في تطوان ومارس خلالها نشاطه السياسي من خلال حزب (حزب الوحدة المغربية) واستقر في طنجة الى ما بعد الاستقلال
- 12 -سياسي ورجل دولة مغربي ولد في الرباط عام 1908 وتابع دراسته الجامعية في القاهرة ثم اسس في باريس رابطة الطلاب المسلمين لشمال افريقيا وشارك في تحرير مجلة المغرب وتأسيس حزب الاستلال عام 1943 مما كان اثر في اعتقاله وافرج عنه عام 1946 .
- ينظر : صلاح العقاد ، المغرب العربي في بداية العصور الحديثة ، مطبعة المصطفى، مصر، 1962 ، ص362
- 13-صلاح العقاد، العرب والحرب العالمية الثانية، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1966 ، ص 152
- 14-نور الدين حاطوم، محاضرات عن المراحل التاريخية للقومية العربية، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ، 1963 ، ص53 .
- 15-من مواليد تطوان اتم دراسته في القاهرة وتولى زعامة حزب الاصلاح ثم اصبح في لجنة تحرير المغرب العربي واندمج حزبه مع حزب الاستقلال
- 16-روم لاندو، محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب الى يوم وفاته، دار الآفاق العربية، بيروت، 1979، ص 19 - 20 .

- 17- عبد العظيم رمضان ، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، د.ت .
- 18- علي محافظة، موقف فرنسا والمانيا وايطاليا من الوحدة العربي 1919 -1945 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص192
- 19-المصدر نفسه.
- 20-يوسف الصائغ، اقتصاديات العالم العربي منذ العام 1945، ج2، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت ، 1984، ص448 - 450 .
- 21-المصدر نفسه
- 22-علي محافظة ، المصدر السابق ، ص298
- 23-المغرب ، الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات 1956 -1966 (د.ت) .
- 24- www.marefa.org

المصادر

- محمد خير فارس ، المسألة المغربية 1912-1900 ، دار الشرق، ط2، بيروت ، 1980 .
- حسن الشهابي ، الملابسات الدولية وقضية الوحدة المغربية من خلال التاريخ ، مجلة الوحدة ، العدد الخامس عشر ، وزارة شؤون موريتانيا ، 1968 .
- خيرية عبد الصاحب ، الفكر القومي في المغرب العربي ، دار الرشيد ، بغداد ، 1983 .
- جمال البنا ، ظهور وسقوط جمهورية فيمار ، مطبعة حسان ، القاهرة ، 1977
- صلاح العقاد ، المغرب العربي في بداية العصور الحديثة ، مطبعة المصطفى، مصر، 1962
- صلاح العقاد، العرب والحرب العالمية الثانية، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1966
- نور الدين حاطوم، محاضرات عن المراحل التاريخية للقومية العربية، معهد الدراسات العربية العالية، 1963
- روم لاندو، محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب الى يوم وفاته، دار الافاق العربية، بيروت، 1979
- عبد العظيم رمضان ، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، ل.ت.
- علي المحافظة، موقف فرنسا والمانيا وايطاليا من الوحدة العربي 1945-1919 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985
- يوسف الصائغ، اقتصاديات العالم العربي منذ العام 1945، ج2، المؤسسة العربية للدراسات ، 1984 .
- المغرب ، الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات 1966-1956 ، ل.ت www.marefa.org